ولا سيّما بالنسبة الى الروايات التي كتبت، أو بدىء بكتابتها، قبيل الانتفاضة الكبرى، وخلالها»[٤٧].

والابداع الروائي الفلسطيني، في فلسطين المحتلة العام ١٩٤٨، يكاد يكون محصوراً في عدد قليل من الاسماء، الأمر الذي وسم الرواية «هناك» بخصوصية كبيرة.

ومن خلال اطلاعنا، ومتابعتنا لهذا المجال، نستطيع ان نحدّد ثلاث روايات أساسية أُصدرت في ظل الانتفاضة، لكل من محمد وتد وادمون شحادة وزكي درويش، لنتمكّن من تبيان محاولات تجسيد، او التعامل مع، الانتفاضة، وزوايا النظر اليها كفعل نضالي جماهيري عريض القاعدة، ومديد التواصل.

«زغاريد المقاثي» أو «زغاريد الانتفاضة»

يعتبر محمد وتد اسماً معروفاً على ساحتنا الفلسطينية كبرلماني وسياسي عتيق، ولكن كأديب وروائي، فهو علينا جديد؛ ونخاله، بانتقاله من خنادق السياسة الى تخوم الادب، بعد انسحابه من قيادة حزبه، وعزوفه عن ترشيح نفسه للنيابة، وكأنه يقول: جئتكم بما معي لاعطيكم ما عندي. وعلى الفور، يعطينا جزئين من ثلاثيته الروائية «زغاريد المقاثي»، التي أُصدرت في الجليل، وأُعيدت طباعتها في «بيسان برس»، في نيقوسيا، تحت اسم «زغاريد الانتفاضة».

واذا كان يصح للبعض ان يسأل عمّا اذا كان انتقال محمد وتد من «السياسي» الى «الثقافي» انتقالاً متفرغاً، فان الاصح ان يقال انه، وهو في موقعه الجديد بين «مقاثيه»، قد أثبت جدة الاديب حتى عندما يؤثر التمترس بين «الخنادق» و«التخوم» معاً.

ان وتد وهو يطلق «زغاريده» مدوّية، فهو يصوغ بانوراما شاملة في تناغم بين حركة الاصبع الذي على الجرح وحركة الاصبع الذي على الزناد، يعيّشنا فيها مع تفاصيل شخصيات روائية أحسن انتقاءها وقدّمها بتفاصيل بسيطة، متّسعة، متوهّجة وغنية، بنبض التمازج الحياتي بين مختلف فئات وقطاعات الشعب الفلسطيني.

في «زغاريد المقاثي» اعتمد الكاتب اسلوب الروي التسجيلي، وهو منحى يعتمد، أساساً، على مجموع معطيات الواقع العيانية، سرداً ووصفاًوتشخيصاً، مثلما يعتمد، أيضاً، على التسجيل الوثائقي. على ان الرواية، بجزئيها، لا تنطلق من حالة واقع التسجيل فحسب، وانما، أيضاً، تتفرد لغتها بامتياز المحكيّ العامّي، وتسافر في أبعد حدود له، لتصل الى الامثال والحكم والمعطيات الشعبية التراثية، ولتشكّل انعكاساً لجسد اليومي وحركته، وفسحة خياله في صراعه، المادي والمعنوي، ضد الاحتلال الاسرائيلي، سياسة ووجوداً، في ظل الانتفاضة الشعبية المتواصلة في الضفة والقطاع المحتلين.

ونهج الحكايا الشعبية هذا، وهو أقرب الاساليب الى موضوع الانتفاضة (الرواية)، فرض على المؤلف لغة بسيطة خارجة لتوّها من بطن الواقع، متحفّزة، مشدودة الى جذورها الضاربة في الارض. وبذلك كانت أقرب الى الحكم الشعبية، التي بدورها فتحت الباب على مصراعيه للامثال والاقوال الشعبية، لتأخذ دورها في النص، تماماً كما في الواقع، بكل أمانة وصدق. وهذا ما أضفى على البنية التاريخية في الرواية شيئاً من الحركة، والايقاع الداخلي، والسلاسة؛ كما ان توظيف حشد كبير من الدلالات ومعطيات التراث، من امثال وعادات وتقاليد واسماء قرى ومدن وأسماء نباتات، في الرواية، منحها صدقاً واقعياً التصق بها أكثر في اطار التسجيلية حتى وانْ بدا للخيال دوره في صوغ